



نتائج البعثات الاستكشافية الفرنسية بالصحراء الجزائرية (الفن الصخري الصحراوي نموذجاً)

The results of the French expeditions in the Algerian desert (Saharan rock art)

د. حسيبة باحمان، جامعة احمد دراية أدرار (الجزائر)، hassibabahman@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2023/07/19 تاريخ القبول: 2024/05/27 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص:

تتركز الرسوم الصخرية بالجزائر بمواقع عديدة بالأطلس الصحراوي والجنوب الوهراني والصحراء الوسطى التي تتميز بغناها بالمشاهد الصخرية بمنطقتي الطاسيلي والحقار التي تمثل متحفاً طبيعياً في الهواء الطلق يمتد على مساحات شاسعة، وتعود بدايات الاهتمام بدراسة هذا الفن إلى الحقبة الاستعمارية مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما أرسل الفرنسيون أول بعثة عسكرية بقيادة الجنرال كوفينياك (Covaignc) سنة 1848م في منطقة الجنوب الوهراني، لتتوالى بعدها بعثات استكشافية أخرى لمنطقة الأطلس الصحراوي والصحراء الوسطى وغيرها، والتي برز فيها كل من بوني 1888، فلامند، قوتيه، وهنري بروي وبالوت والباحث هنري لوت ممن عكفوا على تحليل ودراسة النقوش الصخرية وتأريخها وتصنيفها وذلك اعتماداً على عدة تقنيات وانطلاقاً من مشاهدتها، وتدوين ذلك في مقالات وبحوث أكاديمية رصينة اعتبرت هي الأولى من نوعها.

كلمات مفتاحية: الفن الصخري، الصحراء الجزائرية، الفترة النيوليتية، الطاسيلي، الحقار.

Abstract:

The rock paintings in Algeria are concentrated in many locations in the Saharan Atlas, the Oranian South and the Central Sahara, which are rich in rock scenes in the Tassili and Hoggar regions, which represent a natural museum that extends over large areas.

The beginnings of interest in the study of this art date back to colonial times, with the beginning of the second half of the 19th century, when the French sent the first military mission led by General Covaignc in the year 1848 after JC in the southern region of Oran, after which other exploratory missions followed the region of the Saharan Atlas, the central desert, and others, which emerged It contains all Bonnie 1888, Flamand, Gutieh, Henry Brouy, Balot, the researcher Henri Lhot and others

Keywords: rock art, Algerian desert, Neolithic, Tassili, Hoggar.



مقدمة:

الفن الصخري هو تلك الأشكال والصور التي نقشها ورسمها الإنسان القديم على واجهات الصخور داخل مسكنه القديم (الكهوف والمغارات) بالاعتماد على عدة تقنيات وأساليب يُعطي لنا صور ومشاهد متنوعة لحياته اليومية، وللتعبير عن أفكاره وأحاسيسه ومعتقداته، وهو بذلك انعكاس للمحيط البيئي للإنسان البدائي.

يمثل الفن الصخري محصلة لممارسات الفرد ونشاطاته الفطرية والفكرية والبدوية في عصور ما قبل التاريخ، أو ما يسمى بالعصور الحجرية القديمة، ففي ظل انعدام وسيلة للتدوين، وقبل اختراع الكتابة خلّف إنسان بلاد المغرب القديم فناً جدارياً اعتبر وسيلة ووثيقة هامة في يد مؤرخي المنطقة خاصة الجزائر في عصور ما قبل التاريخ، أين تتركز الرسوم الصخرية بالأطلس الصحراوي والصحراء الوسطى والجنوب الوهراني، والتي كانت محل اهتمام من طرف الباحثين والمستكشفين الفرنسيين، المقال يهدف إلى الإشارة إلى أهم المستكشفين والمهتمين بدراسة الفن الصخري الصحراوي بالجزائر ممن كان لهم دور في كشف خبايا هذا المكون الحضاري والتأريخ لهذه الفترة الطويلة من تاريخ الإنسان القديم، كما يهدف إلى البحث عن نتائج أبحاثهم في هذا المجال، وبالتالي فالإشكالية المحورية لهذه الورقة البحثية هي من هم أهم مستكشفي الفن الصخري الصحراوي بالجزائر؟ وماهي أهم نتائج أبحاثهم الأثرية؟ وللإجابة على هذه الإشكاليات ولتحقيق الفهم حاولت جمع وتصنيف ما عثرت عليه من مادة علمية وفق المنهج التاريخي الوصفي.

1.. النطاق الجغرافي للرسوم الصخرية بالجزائر:

أبدع إنسان ما قبل التاريخ في مجال الرسم والنقش على الجدران الصخرية التي اعتبرت لدى بعض المؤرخين بمثابة كتابة تصويرية للفترة السابقة لكتابة والمتوزعة على مناطق عديدة ببلاد المغرب القديم حيث يزيد عدد النقوش في الجزائر لوحدها عن 2000 نقش، تخضع في توزيعها لعامل الجيولوجيا حيث تنعدم الرسوم الصخرية بالرق أو العرق¹، ومن أهم مواقعها:

¹ محمد أوريج، تأثير عمليات التجوية وعوامل التعرية على الرسوم الصخرية ف حظيرة التاسيلي ناجر والبقار بالصحراء الجزائرية، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، جامعة الجزائر، الع:4، 2011، ص58



1.1.. الجنوب الوهراني:

وتعد من الأماكن الغنية بالرسوم الصخرية، ومن أهم مواقعها تيوت، مغرارة التحتاني، الريشة، سفيفيسة..... ومن أهم من درسها فوفري (R.Vaufry)¹.

2.1.. الأطلس الصحراوي:

يحتوي على حوالي 390 موقعاً و622 محطة تقريباً حيث أن الموقع الواحد قد يحتوي على عدة محطات² نذكر من تلك المواقع : بوعالم برزينة، أفلو، جانو، جبل عمور غارة الطالب ، غويرة بن سلول، عين الناقة، بوبكر، مردوفة وغيرها³.

3.1.. منطقة الشرق القسنطيني:

ومن أهم مواقعها نذكر: عين رقادة، خنقة الحجر، كاف لمسورة.....⁴
أما فيما يخص الصحراء الوسطى فنجد فيها منطقتين غنيتين بالرسوم الصخرية هما:

4.1.. الطاسيلي ناجر:

وهي عبارة عن هضبة من الأنهار في سلسلة جبلية ترتفع بأكثر من 2000م عن سطح البحر بها أكبر محطات الفن الصخري وتضم أكثر من 4 آلاف شكل على مسافة 30 كلم⁵²، من أهم مواقعها: سفار، جبارن، تامريت، تين زمياتين، وادي جرات.....

¹ شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، من البدء إلى غاية الفتح الاسلامي، تر: محمد مزالي ، البشير بن سلامة، مؤسسة توالث الثقافية، 2011، ص 47

² بكارة بن عامر، تصنيف ودراسة لأشكال ورسومات الفن الصخري بالجنوب الغربي الجزائري بمنطقة أربوات بولاية البيض أنموذجاً، مجلة روافد مج: 2 جوان 2020، ص 338.

³ يوغرطة حدادو، أهم مشاهد الحيوانات الطبيعية الكبرى في محطات النقوش الصخرية للأطلس الصحراوي، ماجستير تاريخ قديم، جامعة الجزائر، 2005، ص 25.

⁴ ك. ابراهيمي، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر: محمد البشير شنيقي، رشيد بورويبة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 124.

⁵ نوال بن صغير، المعتقدات الدينية في نماذج من محطات الفن الصخري بالصحراء الوسطى و الأطلس الصحراوي، مجلة النشرتيس للدراسات التاريخية، مج 1، الع: 2، جويلية 2022، ص 181



5.1.. الهقار:

وهي منطقة قديمة التكوين تعود إلى 6000 ومليون سنة تحتوي على مجموعة هامة من النقوش الصخرية، من أهم مواقعها: تيت، أقنا، يوفغالل، تين ترايين.....¹

2.. أولى البعثات الاستكشافية لدراسة الرسوم الصخرية:

قبل القرن التاسع عشر (19) كانت المعلومات التي قدمها الجغرافيون والمؤرخون الإغريق والرومان أو الرحالة العرب هي المعلومات المتداولة عن الصحراء، وعلى الرغم من توغل بعض الهواة والمغامرين الأوروبيين في أعماق الصحراء إلا أنهم لم يتركوا كتابات ذات طابع أكاديمي علمي.

مع مطلع القرن 19 اشتد التنافس البريطاني الفرنسي حول إفريقيا وبرزت إلى الوجود مشاريع إحتراق الصحراء الإفريقية للاستحواذ على تجارتها وغزو أسواقها ولتحقيق ذلك تم إنشاء " الجمعية الجغرافية بباريس " سنة 1821م، ثم الجمعية الجغرافية في الجزائر عام 1879م وكانت البداية مع روني كاييه 1827م وهنري دوفيري 1859م² ثم انفتح المجال أمام الاستكشافات الأوروبية الأخرى، وأولى الكتابات عن الصحراء تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر منها كتابات Duvergrie 186 و Jacquot 1849³.

أما بالنسبة للرسوم الصخرية في الجزائر فتعود بداياتها إلى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد البعثة العسكرية الفرنسية التي كانت بقيادة الجنرال كوفينيالك (Covaigne) سنة 1848م في منطقة الجنوب الوهراني (جبال لقصور)، وفي السنوات الموالية قام بأعمال استكشافية أخرى في منطقة الأطلس

¹ محمد الصغير غانم ، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص156.

² عبد الحميد بعبطيش، المحتوى التاريخي للنقوش الصخرية في الصحراء الجزائرية، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد: 11، العدد: 2، 2013، ص79.

³ صلاح رشيد الصالح، تأريخ الدول المغاربية منذ أقدم العصور إلى فجر التاريخ، ط1، در الكتب والوثائق العراقية، بغداد، 2019، ص232.



الصحراوي وقدم تقارير عن الرسوم الصخرية التي عثر عليها في نواحي جبال قصور وجبال عمور.¹ وفي سنة 1850م قام الباحث الألماني هنري بارث برحلة استكشافية في منطقة الهقار وفي فزان الليبية.

مع بداية القرن العشرين ازدادت وتيرة البعثات الاستكشافية، ففي سنة 1909م قام النقيب كورتى (Capitaine Cortier) باكتشاف الرسوم الصخرية بوادي ايسون ملان، وبين سنوات 1920-1930م أصبح الفن الصخري موضوعاً للبحث من طرف ج.ب.م فلانمند (G.P.M.Flamand) حول الأطلس الصحراوي، وكان تودور مونود (Théodore Monod) قد قام بدراسة حول منطقة أهناث سنة 1932م.²

كما قام موريس ريقاس بسلسلة من الأبحاث الهامة بمنطقة توات والعرق الشرقي الكبير، ثم اتجه بعدها للهقار ووادي جرات لدراسة نقوشها الصخرية ما بين 1933-1935، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت أولى عمليات النسخ التي قام بها شارل برينان (Brenans) وهي التي نشرها القس بروي سنة 1954. في عام 1932م قام الاثنولوجي الألماني ليو فروبينوس (Léo.Frobenius) باكتشافات في إدوا وازاك أميران (Azak némiren) كما قام روبيرت بيرري بتقسيم أعمال وادي جرات إلى ذات زنجار أسود وأخرى ذات زنجار أحمر و كان هذا الأخير وموري وريقاس قد سبقا هنري لوث في اكتشاف المنطقة.³

في نفس الفترة قام ريموند فوفري (R.vouffréy) والملازم برينان بدراسة الفن الصخري، كما قام القس بروي مع هنري لوث باكتشاف ثمانية مواقع للرسوم الصخرية، ونظرا لكبر سن القس بروي كلف هنري لوث بالقيام برحلات استكشافية بالصحراء حيث قام عام 1949م برفع بعض النقوش لموقع عين قزام والتي تمثلت في رسوم للفيلة، كما قام سنة 1950م بحفرية سطحية سمحت له باستخراج أدوات عظمية ودراسة العديد من المواقع الأثرية مثل إن إزاوا، تين زواتين، ايلالم، إن فنيان.⁴

¹ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 150

² لخضر بن بوزيد، التاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ، المعتقدات والفن الصخري، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015، ص 24.

³ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 156

⁴ نعيمة بوكرا، ما قبل التاريخ في مناطق التاسيلي جنوب الهقار، ماجستير ما قبل التاريخ، جامعة الجزائر، 2009، 2008، ص



وفي عام 1958 تمكن هنري لوت برفقة مجموعة من الرسامين المحترفين من رفع الرسومات الصخرية من موقع إيدو، تين بجاج، تين زوميتاك¹.

نظم هنري لوت رحلات أخرى عام 1959-1960-1962 خصص بعضها لدراسة نقوش وادي جرات، وهي التي نشر نتائجها في كتاب من جزأين سنة 1976 كما شملت تلك الرحلات مناطق أخرى شمال الطاسيلي ومحطات تاهيلاهي إهيرن، وتين أبنهار وتين خديجة في نفس العام²، وهي الرحلات التي ساهم فيها رجل من الطوارق يدعى ماسار جبرين حاج محمد (Machar ag Mohamed Djebrine) والمعروف باسم جبرين³.

ويذكر بعض المؤرخين ان ممن سبقوا هنري لوت في اكتشاف الطاسيلي والمقار هو القائد لابيرين الذي كان يقوم بجولة في الصحراء برفقة الراهب شارل دي فوكو وقوتي وشودر في 1904 حيث عثروا على نقوش صخرية في ناحية تقريرا، وفي نهاية العشرينيات أشار النقيب أجيرا إلى وجود بعض النقوش الصخرية في منطقة تيميساو وإن أزواو غيرها⁴.

غير أن أعمال هنري لوت الرحالة والجغرافي الألماني⁵ تبقى من أهم الأبحاث ذات الأهمية في دراسة الفن الصخري إضافة إلى بعض الدراسات القيمة لغابريال كامبس حول الصحراء الكبرى كمنطقة الأتاكور والتي درست من طرف جون بول باتر وموقع أمكني من طرف كامبس نفسه، ومع تأسيس الحظيرة الوطنية للتاسيلي عام 1972 انتهى عهد الحملات الكبرى واستمر العمل بالحملات الاستكشافية الصغيرة وقد برز

¹ H.Lhot, Ala découverte des fresques de tassili, paris, arthaud, p38.

² H.Lhote, Les gravures rupestre de l'ouede djeret, vol2, mémoire de CRAPE, n: 25, 1976.p20

³ جبرين: من مواليد 1890 ينتسب إلى قبيلة كيل مداك وظفته الإدارة الفرنسية في قطاع السياحة لكي تستفيد من خبرته في معرفة المسالك إضافة إلى إتقانه للتيفيناغ لغة وكتابة، ويذكر البعض أنه المكتشف الحقيقي للرسوم الصخرية الصحراوية التي نسبت للباحثين بيرنان وهنري لوت لأنه رافق كليهما في حملاتهما الاستكشافية. أنظر: حسان مرابط، الجبرين مشار.. ما لا يعرفه كثيرون عن مكتشف رسومات الطاسيلي، 16 اوت 2022، متوفر على الرابط:

<https://ultraalgeria.ultrasawt.com>

⁴ GauthierG.F, Sahara Algerien, éd; payot, paris, 1980. p63

⁵ محمد رشدي جراية، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث، ماجستير في التاريخ القلم، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص111.



منهم ميشال توفرو (M.Tauveron) و إمبرتو سانسوني (U.Sansoni) وجون لوكلاك، إضافة لبعض الباحثين المحليين كالاستاذ نجيب فرحات، ياسمينه شايد سعودي، ومليكة خشيد هذه الأخيرة التي أجرت مسحاً للعديد من المواقع الأثرية ضمن فريق جزائري فرنسي وتمكنت من تحديد عمر الرواسب الجيولوجية (OSL) مثل الفخار والآجر والجدران الصخرية، واستنتجت أن الرسوم الصخرية تعود لـ 9000 و 10000 سنة بمعنى أنها تعود لمرحلة ذوي الرؤوس المستديرة..¹

كما تأسست الحظيرة الوطنية للهقار سنة 1987² والتي أخذت على عاتقها حماية الموارد المائية و الحيوانية فضلاً عن دراسة الفن الصخري، وأسس بعض المهتمين بدراسة الفن الصخري بالموازة "جمعية أصدقاء الفن الصخري الصحراوي"، والتي كانت تنشر أعمالها في مجلة "الصحراء" التي كانت تصدر بألمانيا.³

3.. أهم نتائج الأبحاث الأثرية للرسوم الصخرية:

1.3.. إشكالية التاريخ:

تعتبر النقوش الصخرية وما تحتويه من رسومات ورموز مصدراً هاماً في معرفة تاريخ انسان ما قبل التاريخ وطرق عيشه ونمط حياته وأنشطته اليومية، ويرجع الفضل في كشف حقائقه إلى الباحثين الفرنسيين حيث توصلوا من خلال أبحاثهم إلى أن أغلب الرسوم الصخرية تعود لفترة العصر الحجري الحديث أوقبله بقليل اعتماداً على الدراسات التي قام بها ثلة من الباحثين ممن سبق ذكرهم كبوني 1888 وفلامند 1892 الذي كانت دراسته محل بحث من قبل المؤرخين ومنهم غوتيه.

اتجهت الكثير من الدراسات الحديثة التي تهتم بتاريخ ما قبل التاريخ إلى قدم المنطقة وتعميرها على الأقل منذ الألف الثامن قبل الميلاد، فقد مكنت دراسات النقوش الصخرية من المساهمة في تجاوز المعطيات التي كانت سائدة من قبل والتي تعتبر شمال إفريقيا من آخر المناطق التي عرفت هذه الثورة الفنية، غير أن التاريخ

¹ M.Hachid, tassili -n-Ajjer au source de l'histoire il y a 50 siècle avant les pyramids. Edition paris -méditerranée, france, 1998, p178.

² تضم الحظيرة مساحة ولاية تمنراست وعين قزام وبلدية تيمياويت التابعة لولاية برج باجي مختار حسب التصنيف الإداري الأخير وترتفع على مساحة قدرها 633.887 كلم²، أنظر: محمد ساقني، مساهمة الحظيرة الثقافية للآهقار في تنمية السياحة الثقافية بالجزائر، مجلة آفاق علمية، جامعة تمنراست، مج: 11، الع: 4، ص 400.

³ لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 182.



للمرسوم الصخرية يبقى نسبياً في ظل الصعوبات التي يطرحها تأويل وتأريخ الفنون الصخرية رغم تطور التقنيات المستعملة في دراسته.

حاولت الكثير من الدراسات الانطلاق من مواضيع الرسوم الصخرية قصد رسم إطار تاريخي لثقافة العصر الحجري الحديث بالصحراء الجزائرية من خلال المقارنة بالصحراء الكبرى، وقد تراوحت بين الألف الثامنة والسابعة قبل الميلاد إلا أن عدم استنادها لمعطيات أثرية (تحليل كيميائي) بمواقع الاستقرار البشري يجعلها مجرد فرضيات تنتظر التأكيد أو النفي¹.

2.3.. معايير تصنيف الرسوم الصخرية:

تفرد النقوش الصخرية بالصحراء الجزائرية بأسلوبها وخصائصها الفنية الرائعة وتنوع مواضيعها، حيث تقدم لنا صور صادقة عن أساليب الحياة المختلفة، فتتعرف من خلال تلك اللوحات على الكثير من العادات والتقاليد ومختلف أنماط السلوكيات الاجتماعية والدينية فضلاً عن صورة عن المناخ والبيئة والأنشطة الاقتصادية المتنوعة، والحياة الدينية والفكرية والفنية.

وبصرف النظر عن الدوافع التي أدت بانسان ما قبل التاريخ إلى هذا الابداع الفني الرفيع فإنه يقدم لنا ثروة هائلة من المعلومات التي تنضوي عليها أهمية تاريخية ومثل هذه المعلومات بإمكانها أن تمد الباحث وتساعد بلا شك في رسم تسلسل تاريخي للصحراء الجزائرية، بالإضافة إلى أنها ستعمل على توضيح وفهم البناء الحضاري الذي شهدته عبر عصورها التاريخية المختلفة.²

ميز الباحثون والدارسون للفن الصخري من أمثال غوتيه وبالوت وعنري لوث وكامبس ومليكة خشيد بين عدة مراحل تطور خلالها الفن الصخري حيث تم التمييز بينها حسب طبيعة المرسومات التي طغت على كل فترة أو مرحلة، وحسب ظهور بعض الحيوانات أو اختفائها وعموماً تقسم لأربعة مراحل رئيسية هي:

¹ عبد الحميد بعبطيش، المحتوى التاريخي، المرجع السابق، ص 79.

² عبد الحميد بعبطيش، ملامح الفكر الديني للإنسان الطاسيلي في المرحلة النيوليتية، مجلة الاحياء، مج: 14، الع: 1، جامعة باتنة، 2013، ص 271.



1.2.3.. مرحلة الجاموس العتيق (الطبيعية):

وتعرف أيضاً بمرحلة الصيادين، ورغم أن الباحثين لم يحددوا لها إطار زمني دقيق إلا أن هنري لوت يجعلها من أقدم المراحل، ومن المحتمل أنها سبقت مجموعة الرعاة بآلاف السنين،¹ وقد حددها بعض الباحثين بأنها تسبق الألف الثامنة قبل الميلاد، وفيها تظهر مجموعة من الحيوانات البرية التي تحتاج إلى مصادر دائمة من الماء والعشب والطرائد كالأسود وفرس النهر والزرافة والفيل ووحيد القرن والجاموس المتوحش الذي ظهرت صورته بكثرة في لوحات هذه المرحلة لذلك سميت باسمه. إلى جانب الحيوانات ظهرت بعض الأشكال الآدمية والرموز الهندسية المختلفة (أشكال لولبية، خطوط ملتوية، خطوط متوازية ومتقاطعة وغيرها).²

تميزت نقوش هذه المرحلة بأسلوبها الواقعي وبحيواناتها الضخمة، إذ نقشت بأحجام كبيرة وبواقعية باهرة، وبأبعاد متناهية في الكبر والصغر، فمثلاً زرافة وادي جرات تتعدى قامتها ستة أمتار، في حين لا يتجاوز نقش وحيد القرن بمنطقة أفلين سبعة سنتيمترات³، كما تميزت الرسوم البشرية خلال هذه المرحلة بالأجسام العارية ماعدا ستر العورة، فنادراً ما كانت ترسم هيئة آدمية في لباس يغطي الجسم كله، كما ظهرت في بعض النقوش ووجوههم مغطاة بأقنعة حيوانية كالكلاب والقطط والطيور، بالإضافة إلى ذلك توجد نقوش لأدوات الزينة كالأساور والعقود وغيرها، وأخرى تخص بعض الأسلحة كالقوس والنبال والفأس⁴.

كما استنتج الباحثين أن الأشكال الآدمية التي تعود لهذه المرحلة والتي عثر عليها بوادي جرات بالناسيلي وإقليم تادراوت أكاكوس الليبية تندرج ضمن الجنس المتوسطي (ملامح أوروبية) مثلما تدل ملامح الوجه كالأنف الحاد، والشعر الطويل والمسدول، واللحية الكثيفة الحادة.⁵

¹ H. Lhote, Le peuplement du Sahara néolithique, d'après l'interprétation des gravures et des peintures rupestres, journal des Africanistes , n40.2, 1970, https://www.persee.fr/doc/jafr_0037-9166_1970_num_40_2_1676p92

² أحمد أوموس، الفن الصخري بالمغرب، مؤتمر الطائف حول الأمن وسلامة الآثار والمنشآت السياحية، منشورات كلية العلوم

الأممية، المملكة العربية السعودية، ص5، متوفر على: <https://www.academia.edu/42949823>

³ صالح عبد الصادق، الفن الصخري في شمال إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص15.

⁴ نادية يفصح، الفن الصخري في الصحراء الكبرى وأهم المواضيع التي تناولها، مجلة تاريخ المغرب العربي، الع:9، الجزائر،

2018، ص84.

⁵ صالح عبد صادق، المرجع السابق، ص16.



إلى جانب الأشكال الآدمية ورسوم الحيوانات انتشرت الرسوم التي تمثل الرؤوس المستديرة بكثرة بالتاسيلي ناجر وبمرتفعات الأكاكوس، وبمنطقتي أندي والتبستي شمال تشاد، وإن كانت أن جل الرؤوس المستديرة مشكلة من أسطوانات تحمل زخارف هندسية دون تمثيل الأعضاء الحسية لكن يتبين من خلال مظاهر جانبية لعدد من الأشخاص أنهم من العنصر الزنجي ذو الملامح السودانية. وهو ما أكدته الباحثة هنري لوث الذي لاحظ من خلال دراسته التشابه الكبير في السمات بينها وبين النحت الزنجي مثل الاثداء المخروطية الصغيرة، الأعضاء المفتولة، الوشم، الأقنعة....)

اختلف الباحثون والأثريون كثيراً في طريقة إدراج رسومات الرؤوس المستديرة ضمن مراحل الفن الصخري، حيث عمد فريق إلى إدراجها في مرحلة مستقلة عن المرحلة الأولى وتأتي بعدها مباشرة أي قبل مرحلة البقريات، في حين يرى فريق آخر أنها جزء من المرحلة الأولى (الجاموس العتيق)، وهو التقسيم الذي اعتمدته في الدراسة.¹

2.2.3.. مرحلة البقريات:

وتعرف أيضاً بمرحلة الرعاة، وقد سميت بهذا الاسم لسيطرة نقوش ورسوم الأبقار والحياة الرعوية مما يدل على توصل الإنسان إلى مرحلة التدجين ودخول العصر الحجري الحديث، حيث ظهر الإنسان في هذه المرحلة كراع للقطعان من الأبقار أو كصياد يطارد الحيوانات البرية كالغزلان، كما تضمنت رسومات هذه المرحلة مشاهد للحياة العائلية بتفاصيل دقيقة. وقد تميزت نقوش ورسومات هذه المرحلة بالدقة والبراعة والاتقان في رسم الحيوانات في طور الحركة والاعتناء بأدق التفاصيل، إضافة للألوان التي زادت جمالاً وروعة، ما يعكس تحكم فنانون هذه المرحلة في الرسم والتكوين والتزيين وتصوير المشاهد بدقة.²

أما بالنسبة للأشكال البشرية فقد ظهرت بملامح مختلفة فوجد الزنوج والاثيوبيين والجنس المتوسطي مما يدل على أن هذه المرحلة عرفت هجرات بشرية متعددة، ويتجلى ذلك جلياً في تنوع اللباس عند المرأة التي

¹ نادية يفصح، المرجع السابق، ص، ص. 84، 85.

² صالح عبد صادق، المرجع السابق، 27.

ظهرت وهي ترتدي الفساتين، التيجان، القبعات....، إضافة إلى تنوع أدوات الزينة كمساسيك لربط الشعر، الأساور، العقود....¹ الخ

تضمنت بعض الرسوم الصخرية في هذه المرحلة مشاهد وحيوانات من مرحلة الجواميس وهو ما حير الباحثين، فإلى جانب الأبقار ظهرت رسومات للفيلة ووحيد القرن والنعام والزرافات والظباء، والغزلان، وبعض الرموز كالخطوط اللولبية، وقد ظهرت الأبقار في عدة أشكال كوسيلة للتنقل وحمل الامتعة وفي مشاهد أخرى وهو تحلب، كما زينت أجسامها بنقوش هندسية وبنقاط كبيرة أو خطوط يريعية.

وتعتبر مرحلة البقرات من أكثر المراحل وضوحاً وتحديداً نظراً لغزارة وتعدد المشاهد والدلالات التي تضمنتها النقوش والرسوم الصخرية²، وكذلك العثور على بقايا الطعام في بعض المخططات كمحطة أكاكوس الليبية التي مكنت الباحثين من تحديد تاريخ هذه المرحلة التي حددها الكربون 14 ما بين 4000 و1500 ق.م.³

صورة 01:

رسومات صخرية لرعاة البقر (مرحلة البقرات).



نقلاً عن. H. Lhote, op.cit, p107

¹ H. Lhote, G. Camps and G. Souville , Art rupestre, encyclopédie Berbères, n:6, 1989, p96.

² جوهرة أوبراهم، نماذج من الحياة اليومية للشعوب النيوليتية من خلال الفن الصخري الصحراوي، مجلة المفكر، مج:2، الع:2، جامعة الجزائر، 2018، ص35.

³ نادية يفصح، المرجع السابق، ص86.



3.2.3.. مرحلة الحصان والعربات:

تعود بدايات هذه المرحلة إلى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد حيث ظهرت صور الحصان والعربات كحيوان مدجن مرسوماً ومنقوشاً في الكثير من المشاهد بالجنوب الوهراني والصحراء الوسطى، وليس من المستبعد أن يكون هذا الحيوان قد عاش قبل العصر الحجري الحديث الذي يتزامن مع بداية هذه المرحلة لكن في حالته الوحشية ، ليظهر من جديد خلال الألف الثانية قبل الميلاد مع الجرامنت¹.

ظهر الحصان في هذه المرحلة منفرداً وأحياناً مركوباً وكثيراً ما برزت الخيول وهي تجر عربات، كما بينت الجداريات مشاهد قتالية فظهر أناس هذه المرحلة فرساناً ماهرين ومحاربين أشداء يمتطون العربات ومسلحين بروماح ودروع وخناجر، كما ظهرت العربات مزودة ببضائع خفيفة مما يدل على أنها استعملت كوسيلة لنقل البضائع، الرأي الذي عارضه كامبس بشدة بدليل ضيق المقعد المصنوع من سيور الجلد المضفورة إذ يرى أنها كانت مجرد وسيلة للتباهي لا أكثر².

بينما يرى هنري لوت أنها وسيلة حربية من خلال بعض الرسوم الصخرية التي درسها في عدة مناطق من الصحراء ووجود مشاهد تدل على الحرب والصيد، من بينها رسماً جدارياً تم الكشف عنه بوادي جرات بالتاسيلي سنة 1934م يمثل مشهداً قتالياً بين فرسان من خلال عربة يظهر على متنها ثلاثة أشخاص يحمل أحدهم درعاً دائرياً في حالة ركض سريع (الركض الطائر).

وما يدعم رأي هنري لوت مشهد آخر ذو طابع حربي بوادي جرات لمجموعة من العربات المنقوشة على أرضية محطة تين قماذ كانت قد نسخت من طرف الأثري ريقاس وهي عبارة عن عربة يركبها رجل واحد محاط برمحين وهي تلاحق رجلاً مسلحاً برمح يفر راكضاً³. وعلى ما يبدو فإن المطاردة كانت هي الدور الأساسي

¹ وريدة علي المنقوش، الفن الصخري بالصحراء الكبرى، المراحل وإشكالية التفسير والتأريخ، المجلة العلمية لكلية التربية، المح: 1، الع: 11، جامعة مصراتة، ليبيا، سبتمبر 2018، ص258.

² صالح عبد صادق، المرجع السابق، ص36.

³ محمد الصغير غانم وآخرون، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 54، الجزائر 2007، ص85.



للعربات، إذ ورد في نصوص هيرودوت أن الجرمانتيون وهم من القبائل الليبية التي استوطنت ما يعرف اليوم بفزان كانوا يطاردون الاثيوبيين وهم يركبون العربات التي تجرها أربعة جياد.¹

وحسب كامبس فان دخول العربية والحصان إلى شمال إفريقيا كان في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد على أساس أن الليبيين قد أخذوهما عن بقايا الهكسوس بعد طردهم من مصر في عهد الفرعون آمحس مؤسس الأسرة 218. ويرى فريق آخر أن دخول العربية إلى شمال إفريقيا كان مع فترة الاحتلال الروماني وأن للرومان دور في ذلك مثلما يظهر في إحدى سيفساء التي تتضمن مشهد لسباق العربات والمؤرخة بأواخر القرن الثاني للميلاد، غير أن الراجح أن استخدام العربية قديم في الصحراء بدليل العدد الكبير من الجداريات التي عثر عليها بالتاسيلي والمقار وفزان وأردار إفواغاسن وشرق التبستي والجنوب الوهراني وحتى الأطلس الكبير، والتي فيما يبدو لا تنتمي لفترة واحدة مما يدل على أن هذه الوسيلة قد تطورت في الزمن من حيث طريقة إنجازها وكذلك مجالات استعمالها، فنجد هناك عربات ذات عجلتين وعريش واحد وهي خاصة بالحرب، وعربات ذات³ أربعة عجلات⁴، وقد ذكر هيرودوت أن الليبيين هم من علموا الإغريق كيق يقطن العربات ذات الأربعة جياد.⁵

أما بالنسبة للأشكال البشرية فقد ظهر رجال هذه المرحلة بأقمصة صغيرة تصل إلى الركبتين وضيقة عند الخصر وغالباً ما يضعون ريشة فوق رؤسهم مثلما ظهر الليبيون في النقوش المصرية. أما المرأة فظهرت وهي ترتدي تنانير طويلة ضيقة على الخصر ومتسعة في الأسفل على شكل أجراس.⁶

¹Hérodote, histoire d'Herodote, trad. Larcher avec des notes des bochard, wesseling scaligerect. Charpentier, Paris 1850. Livre : IV, 189.

² محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 70.

3

⁴ نادية يفصح، المرجع السابق، ص 87.

⁵Hérodote, op.cit. Livre : IV, 189.

⁶ H. Lhote, op.cit,p96.



صورة 02:

فارس يمتطي حصان في حالة الركض الطائر بالتاسيلي.



نقلا عن: سليم سعيدي، الحصان النوميدي من خلال المصادر المادية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، الع: 27، جامعة الوادي، 2018، ص71.

4.2.3.. مرحلة الجمال:

استبدل الحصان بالجمال مع ازدياد نسبة الجفاف في الصحراء، وقد انتشرت الرسوم الصخرية التي تمثله بكافة أنحاء الصحراء كالهقار والتاسيلي وفزان والصحراء الغربية، وقد تضاربت الآراء حول زمن ظهور الجمل وتوسعه في بلاد المغرب القديم، فوفقاً لأقوال فليكس قوتي الجمل ظهر ببلاد المغرب القديم والصحراء في القرن الثالث والرابع للميلاد فقط حيث أدخلته الفرق الرومانية المساعدة القادمة من سوريا، وتبناه الرحل بعد أن أصبحت الخيول تعاني من الطبيعة الجافة، كما ذكر أن الجمل دخل للمنطقة من قبل القبائل البربرية الفارة من التوسع الروماني نحو الجنوب، ويذهب تيسوت وستيفان غزال إلى نفس الرأي حيث يذكر غزال أن الجمل انتشر بشكل أوسع في الصحراء خلال القرن الثالث للميلاد¹.

في حين نقل لوكلارك عن هنري لوت أن الجمل وجد منذ عهد النوميديين لكنه انتشر انتشاراً واسعاً خلال القرن الرابع الميلادي، وقد تحدثت النصوص المصدرة أن يوليوس قيصر في حربه ضد يوبا الأول استولى على اثنا عشر رجلاً، وفي 200م كان الغرامنت (قبيلة ليبية) يمولون قصر نونجيم بعد أن ضرب الجفاف كل المنطقة².

¹ لخضر بن بوزيد، الجمل فيما قبل التاريخ الشمال افريقي، مجلة علوم الانسان والمجتمع، الع: 6، الجزائر، جوان 2013،

ص83

² المرجع نفسه، ص84.



ظهر الجمل في الرسوم الصخرية برفقة الحصان مما يعني أنه عاصره، وفي الكثير من الأحيان ظهر الجمل وهو مركوب أو يقوده صاحبه نحو موقع المعركة، ونادراً ما ظهر وهو يحمل البضائع، وقد جاءت أغلب رسومات التي تمثل الجمل غير واضحة وبأسلوب متدهور نخلو منه الأناقة والحيوية والتعبير، واللون المستعمل فيها هو اللون الأحمر الفاتح.¹

صورة 03:

مشهد لجمال برسومات التاسيلي.



نقلًا عن: <https://fibladi.com/plus/>

4.. خاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية، نشير إلى أهم ما توصلت إليه من نتائج، وهي:

- ارتبط تاريخ البحث الأثري بالجزائر في عصور ما قبل التاريخ بالأوروبيين، وكانت الصحراء ومناطق انتشار الفن الصخري الصحراوي والصحراء الوسطى خصوصاً مركزاً هاماً ووجهة مفضلة للباحثين عن الآثار سواء الهواة والمغامرين في بداية الأمر، أو الباحثين الأكاديميين فيما بعد، والذين كان لهم الفضل في الكشف عن الكثير من اللوحات الفنية التي تركها الإنسان القديم خاصة مع بداية القرن العشرين، وتعتبر أعمال هنري لوت من أولى الأبحاث المتخصصة في الفن الصخري الصحراوي حيث ترك العديد من المؤلفات والمقالات حول اكتشافاته خاصة بالتاسيلي ووادي جرات.
- تمكن الباحثون والأثريون بفضل البحث المستمر والتحليل والنقد من التوصل إلى عدة نتائج منها تحديد تأريخ للنقوش الصخرية الصحراوية، ووضع معايير لتصنيفها انطلاقاً من مواضيعها المتكررة (المرحلة

¹ وريدة على النقوش، المرجع السابق، ص 258.



الطبيعية، البقريات)، كما أن مشاهد الفن الصخري وتنوعها من جهة ثانية سمحت للمؤرخين باستنتاج أهم مظاهر الحياة اليومية للإنسان القديم.

- يترجم تنوع المواضيع والتقنيات المستخدمة في الفن الصخري الصحراوي تنوع الشعوب والثقافات التي استوطنت هذا الفضاء الواسع، كما يشهد على التحولات التي عرفها نمط حياتها والتغيرات المناخية التي أصابتها، وبذلك التنوع والتباين استطاع المختصون تقسيم الفن الصخري إلى عدة مراحل متباينة.

- رغم ما توصل إليه الباحثون من معلومات تخص الفن الصخري الصحراوي بالجزائر تبقى بعض الإشكاليات التي تخصه مطروحة تنتظر التفاتة جهود علمية للكشف عن أسرارها خاصة المدينة اللغز سيفار.

5.. الببليوغرافيا:

المصادر والمراجع:

- ابراهيمي. ك، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر: محمد البشير شنيقي، رشيد بورويبة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007. صلاح رشيد الصالح، تأريخ الدول المغاربية منذ أقدم العصور إلى فجر التاريخ، ط1، در الكتب والوثائق العراقية، بغداد، 2019،

- بن بوزيد لخضر، التاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ، المعتقدات والفن الصخري، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015.

- جوليان شارل اندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، من البدء إلى غاية الفتح الاسلامي، تر: محمد مزالي، البشير بن سلامة، مؤسسة توالث الثقافية، 2011،.

- عبد الصادق صالح، الفن الصخري في شمال إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990. غانم محمد الصغير، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.

- غانم محمد الصغير وآخرون، المقاومة والتاريخ العسكري المغاري القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 54، الجزائر 2007.

-Hérodote, histoire d'Herodote, trad. Larcher avec des notes des bochard, wesseling scaligerect. Charpentier, Paris 1850.

-H.Lhot, Ala découverte des fresques de tassili, paris, arthaud.



-M.Hachid, tassili -n-Ajjer au source de l'histoire il y a 50 siècle avant les pyramids.Edition paris –méditerranée,france.

-GauthierG.F, Sahara Algerien, éd; payot, paris, 1980.

- بوكرا نعيمة، ماقبل التاريخ في مناطق التاسيلي جنوب الاهقار، ماجستير ماقبل التاريخ، جامعة الجزائر، 2008، 2009.

- جراية محمد رشدي، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث، ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2007-2008.

- حدادو يوغرطة، أهم مشاهد الحيوانات الطبيعية الكبرى في محطات النقوش الصخرية للأطلس الصحراوي، ماجستير تاريخ قديم، جامعة الجزائر، 2005.

المقالات:

- أوبراهم جوهرة، نماذج من الحياة اليومية للشعوب النيوليتية من خلال الفن الصخري الصحراوي، مجلة المفكر، مج:2، الع:2، جامعة الجزائر، 2018.

- أوريج محمد، تأثير عمليات التجوية وعوامل التعرية على الرسوم الصخرية في حظيرة التاسيلي ناجر والهقار بالصحراء الجزائرية، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، جامعة الجزائر، الع:4، 2011.

- أوموس أحمد، الفن الصخري بالمغرب، مؤتمر الطائف حول الأمن وسلامة الآثار والمنشآت السياحية، منشورات كلية العلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، متوفر على:

<https://www.academia.edu/42949823/>

- بعبطيش عبد الحميد، ملامح الفكر الديني للإنسان الطاسيلي في المرحلة النيوليتية، مجلة الاحياء، مج:14، الع:1، جامعة باتنة، 2013.

- بعبطيش عبد الحميد، المحتوى التاريخي للرسوم الصخرية في الصحراء الجزائرية، مجلة الدراسات الأثرية، المج:11، الع:2، الجزائر، 2013.

- بن بوزيد لخضر، الحمل في ما قبل التاريخ الشمال افريقي، مجلة علوم الانسان والمجتمع، الع:6، الجزائر، جوان 2013.



- بن صغير نوال، المعتقدات الدينية في نماذج من محطات الفن الصخري بالصحراء الوسطى والأطلس الصحراوي، مجلة النشرتريس للدراسات التاريخية، مج1، الع: 2، جويلية 2022.
 - بن عامر بكارة، تصنيف ودراسة لأشكال ورسومات الفن الصخري بالجنوب الغربي الجزائري بمنطقة أربوات بولاية البيض أنموذجاً، مجلة روافد مج: 2 جوان 2020.
 - ساقني محمد، مساهمة الحظيرة الثقافية للأهفار في تنمية السياحة الثقافية بالجزائر، مجلة آفاق علمية، جامعة تلمسان، مج: 11، الع: 4، 1، 2018.
 - سعيدي سليم، الحصان النوميدي من خلال المصادر المادية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، الع: 27، جامعة الوادي، 2018.
 - مرابط حسان، الجبرين مشار.. ما لا يعرفه كثيرون عن مكتشف رسومات الطاسيلي، 16 اوت 2022.
 - المنقوش وريدة علي، الفن الصخري بالصحراء الكبرى، المراحل وإشكالية التفسير والتأريخ، المجلة العلمية لكلية التربية، المج: 1، الع: 11، جامعة مصراتة، ليبيا، سبتمبر 2018.
 - يفصح نادية، الفن الصخري في الصحراء الكبرى وأهم المواضيع التي تناولها، مجلة تاريخ المغرب العربي، الع: 9، الجزائر، 2018،
 - H.Lhote, Les gravures rupestre de l'ouede djeret, vol2, mémoire de CRAPE, n: 25, 1976
 - H. Lhote, Le peuplement du Sahara néolithique, d'après l'interprétation des gravures et des peintures rupestres, jornal des Africanistes , n40.2, 1970, https://www.persee.fr/doc/jafr_0037-9166_1970_num_40_2_1676.
 - H. Lhote, G. Camps and G. Souville , Art rupestre,encyclopédie Berbères, n:6, 1989.
- مواقع الانترنت:

- <https://fiabladi.com/plus/>
- <https://www.academia.edu>
- <https://www.persee.fr>